بسم اللّه الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيما ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فلقد كانت الأمة الإسلامية ـ إبان عهودها الأولى ـ فى أوج عظمتها، قوة وعلما ، وما ذاك إلا بفضل تمسكها بكتابها الكريم وسنة نبيها العظيم، وفقه صحابتها الأجلاء. ظلت هكذا قرونا عديدة، فحمت العقيدة ، ونشرت العلم النافع فيما يحتاجه الناس فى أمر دينهم ودنياهم.

غير أنه ـ ولأسباب عديدة ـ أخذت عوامل الضعف تنخر فى جسدها ، حتى أصبحت مطمعا لأعدائها المتربصين ، فأخذت تتعرض لهجمات وهجمات من هنا وهناك، وتكالب الأعداء عليها من كل صوب وحدب، فى غزو عسكرى جرىء، وهذا بدوره مهدّ لغزو الأمة فى تراثها الفكرى، والذى هو أشد فتكا من الغزو العسكرى ، إلا أن الله ـ الرحيم بها ـ قد قيض لها فى كل زمان حماة لدينه ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

وكان الإمام تقى الدين شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبى القاسم بن الخضر النميرى الحرانى أبو العباس، والذى اشتهر بـ «ابن تيمية» ممن عاصروا فترة ظهور التتار على المسلمين، وما استتبع ذلك من انتشار أفكار غريبة على ديننا الإسلامى وعقيدته السمحة، فجند الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ علمه وقلمه وكل ما أوتى

ليدافع عن عقيدة المسلمين وشريعتهم ، وفى سبيل ذلك لاقى الإمام كثيرًا من العنت والمشقة ، ما بين سجن أو نفى ، أو اتهام بالضلال ، إلا أن هذا لم يثنه عن طريقه ، ولم يفت فى عضده فى الذب عن عقيدة الإسلام ، حتى تظل بيضاء نقية كما أراد لها صاحب الشريعة ﷺ .

كما كان ـ رحمه الله ـ نموذجا للداعية الحصيف الذى يفقه مقتضيات عصره وعلومه، فقد جمع بين غزارة العلم ، وعمق الفهم ، والإحاطة بعلوم الشريعة والعلوم الفلسفية والكلامية ، والعلوم الرياضية وغيرها، التى عرفت فى عصره وقبل عصره، مما جعل أهل العلم يطبقون على الثناء عليه ، والإذعان لإمامته فى العلوم والفنون ، وبأنه فريد عصره، ووحيد دهره ؛ علما ومعرفة ، وشجاعة وذكاء وكرما ، ونصحا للأمة ، وأمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر .

وكان من محصلة هذا الجهاد الطويل : أن كتب الإمام وأملى آلاف الأوراق، حتى بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلدة ـ كما ذكر صاحب فوات الوفيات ـ وقيل : وتزيد على أربعة آلاف كراسة ـ كما فى الدرر الكامنة ـ ما بين جواب على سؤال ، أو مؤلَّف لموضوع وجد الناس فى حاجة إليه؛ كبيان لما يجب على الأمة فهمه وتعلمه من أمر دينها فى العقيدة والعبادات ، أو ذكر أحوال الفرق الضالة والمبتدعة وتحذير الأمة منها .

ولأن الله ـ عز وجل ـ يريد الخير لهذه الأمة ، فقد قيض لها من العلماء الأفاضل من أزاح التراب عن هذا التراث ، وأظهر درره للنور ، فاهتم علماء المسلمين بمؤلفات الإمام، وبدأت تظهر للنور كمؤلفات مستقلة فى موضوعات مختلفة ، فى العقيدة ، والتفسير، والفقه ، وغيرها .

وقد ظهرت أول مجموعة من فتاوى الإمام على يد الشيخ فرج الله الكردى الأزهرى بمصر عام ١٣٢٦هـ فى ستة مجلدات، وتبع ذلك بعد سنوات صدور مجموعة أخرى باسم «الفتاوى المصرية » ، وزامن ذلك وتلاه ظهور أعمال متفرقة فى مواضيع متنوعة ، ظهرت فى شكل مجلد أو أكثر هنا وهناك.

ثم جاء بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد رشاد سالم ، فشرع فى القيام على مشروع لإخراج رسائل ابن تيمية كاملة ، فبدأ فى جمع المخطوطات ونسخها وتبويبها، إلا أنه ـ وفى أثناء عمله فى الجزء الأول من كتاب منهاج السنة ـ علم أن حكومة المملكة العربية السعودية قد جندت الإمكانيات لإخراج مجموع رسائل الإمام،بناء على رغبة الملك سعود ـ رحمه الله ـ وذلك بتكليف الشيخ عبد الرحمن بن القاسم وولده محمد بالقيام على هذا

المشروع الكبير. وهنا آثر فضيلة الشيخ محمد رشاد سالم الانتظار بمشروعه الذى قد بدأه؛ إذ لعل ما أقدمت عليه حكومة المملكة العربية السعودية يكون فيه الغناء، ويوفى بالمقصود.

وحينئذ قام الشيخ عبد الرحمن يعاونه ولده محمد ـ جزاهما الله خيرا ـ بجمع شتات جزء غير قليل من المطبوعات ، وأضافا إليها جزءا مخطوطا لم يكن قد ظهر إلى النور بعد، ثم أخرجا ما تم جمعه من رسائل ـ المطبوع منها والمخطوط ـ تحت اسم «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية » فى خمسة وثلاثين مجلدا ، وهى وإن لم تشمل كل ما للإمام من رسائل ـ كما أشارا إلى ذلك فى مقدمة عملهما ـ إلا أنه عمل غير مسبوق بما احتواه المجموع من رسائل ، فجزاهما الله خيرا .

ونظرًا لأنه ـ حتى الآن ـ لم يتم إخراج أعمال ابن تيمية كاملة ، فقد عقد الناشر العزم على القيام بهذا المشروع الكبير ، أملاً منه فى تحقيق هذا الحلم الذى طالما انتظره القراء الكرام .

ولقد أسند إلينا القيامُ على هذا العمل الضخم ، على تردد منا ، لما نعلم من ضعفنا وقلة حيلتنا أمام هذا الإمام الجليل ، غير أننا ارتأينا أن نبدأ ، وحسبنا أن نبذل الوسع والطاقة، آملين أن يوفقنا الله فى خدمة هذا التراث وإخراجه على أكمل وجه وأنقاه ، فهكذا أردنا ، والله من وراء القصد .

وقد تطلب ذلك منا أن نقوم بحصر جميع مخطوطات ابن تيمية داخل مصر وخارجها، المطبوع منها وغير المطبوع ، ومن خلال الموسوعات المتخصصة فى فهرسة المخطوطات ، للوقوف على أماكن وجودها ، وهو ما تم فعلا .

وقد بلغ ما قمنا بحصره من أعمال ابن تيمية ـ فى مختلف الفنون ـ ثلاثمائة وأربعة عشر مخطوطا ، فى اثنتين وخمسين موضعا ، داخل مصر وخارجها ، فى المكتبات الوطنية أو مكتبات الجامعات أو مراكز البحوث أو المكتبات الخاصة وغير ذلك ، وكثير من هذه المخطوطات له أكثر من نسخة ، مما يساعد على ضبط وتحقيق النصوص ـ إن شاء الله ـ وكان فى مقدمة هذه الأماكن من حيث وفرة النسخ وكثرتها ما يلى :

ـ المكتبة الظاهرية بدمشق ؛ إذ احتوت على ١٢٣ مخطوطا .

ـ ثم المكتبة السليمانية بتركيا ؛ إذ احتوت على ٦٧ مخطوطا .

ـ ثم مكتبة الدولة ببرلين ؛ إذ احتوت على ٥٨ مخطوطا .

ـ ثم دار الكتب المصرية ؛ إذ احتوت على ٤٣ مخطوطا .

ـ ثم مكتبة تشستربتى بأيرلندا ؛ إذ احتوت على ٣٥ مخطوطا.

ـ ثم مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ؛ إذ احتوت على ٣٣ مخطوطا .

وهذه المخطوطات التى قمنا بحصرها ـ ولا ندعى أن هذا كل ما للإمام من أعمال؛ إذ ربما تظهر لنا الأيام غيرها ما لم يكن فى خَلَد إنسان ـ قد احتوت على كل ما ألفه الإمام أو أملاه أو خاطب به أناسا فى بلدان شتى ، نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

ففى القرآن وعلومه :

ـ مقدمة فى أصول التفسير .
ـ قاعدة فى تحزيب القرآن .
ـ التبيان فى نزول القرآن .
ـ جواب أهل العلم فى تفضيل آيات القرآن.
ـ تفسير سورة النور .
ـ تفسير المعوذتين .
ـ تفسير سورة الإخلاص .
ـ تفسير آيات أشكلت .
ـ قاعدة فى البسملة . . . وغير ذلك .

وفى الحديث وعلومه :

ـ أسئلة فى مصطلح الحديث .
ـ شرح حديث : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » .
ـ شرح حديث النزول .
ـ شرح حديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف » .
ـ شرح حديث : « كان الله ولا شىء قبله ».
ـ شرح حديث : « إنى حرمت الظلم على نفسى » .
ـ مجموعة أحاديث والكلام عليها . . . وغير ذلك .

وفى العقيدة والرد على المتكلمين وغيرهم :

ـ الإيمان الكبير .
ـ معجزات الأنبياء .
ـ آيات الصفات والأحاديث حولها.

- رسالة فى كلام الله .
- الجواب الباهر فى زوار المقابر .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .
- مسألة العلو .
- قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة .
- منهاج السنة النبوية .
- الواسطية فى العقيدة . . . وغير ذلك .

وفى الفقه وأصوله :

- أصول الفقه .
- رسالة فى الاجتهاد .
- رسالة فى أقوال الصحابة وحجيتها .
- رسالة فى الصوم .
- رسالة فى قنوت النساء.
- تحقيق الفرقان بين التطبيق والأيمان.
- رسائل فى الغصب، واللقطة ، والمزارعة ، والوقف وغيرها.
- شرح العمدة فى الفقه . . . وغير ذلك .

وفى التصوف والسلوك والاجتماع :

- الصوفية والفقراء .
- الحسنة والسيئة.
- مسألة فى بعض أعمال الصوفية .
- قاعدة فى أمراض القلوب.
- رسالة فى تحقيق التوكل.
- السياسة الشرعية .
- الرسالة التدمرية .
- رسالة فى السماع والرقص والغناء .
- رسالة فى تحقيق التوكل . . . وغير ذلك .

وفى المنطق والفلسفة :

- نقض المنطق .
- الرد على المنطقيين.

obeikandl.com

ـ الصفدية . ـ الرسالة العرشية .

ـ الرد على الفلاسفة . . . وغير ذلك .

ثم استتبع هذا الحصر القيام بجمع المخطوطات التى لم تنشر من قبل والتى تم نشرها، وكذلك جمع ما كان مطبوعا من تراث الإمام حتى الشروع فى هذا المشروع الذى نحن بصدده ، ثم كان التفكير بعد ذلك بأى الأعمال نبدأ؟

غير أنه استقر الرأى بأن نبدأ بجمع رسائل الإمام فى الفتاوى ؛ باعتبار أن ذلك أشهر عمل يذكر عندما نتناول الكلام على تراث الإمام ، وقد يسر الله لنا ـ كما أشرنا فيما تقدم ـ الحصول على عدد كبير من المخطوطات بدار الكتب المصرية، كانت عونا لنا فى ضبط النصوص ومراجعتها ، والتنبيه على بعض ما قد يستشكل على القراء، بالإضافة إلى استدراك ما اعتذر عليه من سبقنا من تخريج أحاديث الكتاب وشرح غامضها، وكذا التراجم، مستفيدين فى ترتيب بعض الرسائل والمسائل بجهود علماء المذهب الحنبلى ، وفى بعضها الآخر بالشيخين الجليلين عبد الرحمن وولده ـ جزى الله الجميع خيرا ـ حرصا منا فى إبقاء الكتاب على شكله المتعارف عليه لدى أهل العلم ، وقد أسميناه «مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية » .

وننبه القارئ الكريم إلى أنه أثناء اطلاعنا على رسائل الإمام بدار الكتب المصرية وجدنا عددا من الرسائل لم تذكر ضمن الفتاوى، كنا نزمع إخراجها ضمن الفتاوى ، إلا أننا رأينا أن ذلك ربما شكل عبْأ على القارئ ، فآثرنا ألا نخرجه عن إلفه ، فأبقينا الكتاب كما هو دونما تعديل ، إلا أننا ـ وبعون الله تعالى ـ سوف نصدر تباعا ما لم يصدر فى الفتاوى أو غيرها من الرسائل ضمن مشروع الدار الكبير لإخراج الأعمال الكاملة لهذا الإمام الجليل .

وقد كان منهجنا فى العمل على النحو التالى :

١ ـ ضبط النصوص وتوثيقها على ما كان من مطبوعات سبقت طبع الفتاوى أو تلت ذلك، وكذلك ما حصلنا عليه من مخطوطات دار الكتب المصرية بلغت حوالى ثلاثين مخطوطا فى مسائل عدة .

٢ ـ تخريج النصوص القرآنية ، وضبط ما وقع من سهو من الناسخ أو المصححين.

٣ ـ تخريج الأحاديث ، واتبع فى ذلك ما يلى :

أ ـ ما نص عليه الإمام بأنه فى الصحيحين أو فى أحدهما : اكتفينا بتخريج ما نص

عليه فيهما أو فى أحدهما وربما ذكرنا غيرهما من السنن.

ب ـ ما نص عليه الإمام بأنه فى السنن : اكتفينا بما نص عليه إذا كان من بينها من يهتم بالحكم على درجة الحديث، وإلا اجتهدنا بتخريج الحديث من غير ما أشار إليه الإمام ممن اهتم من الأئمة بذكر درجة الحديث ، كالإمام الذهبى والسيوطى وغيرهما من القدامى ، أو الشيخ شاكر والألبانى وغيرهما من المحدثين .

جـ ـ ما لم ينص عليه الإمام : خرجناه من الصحيحين إن كان فيهما أو فى أحدهما بالإضافة إلى بعض السنن ، وإن لم يكن فى الصحيحين خرجناه من السنن وغيرها، متبعين فى ذلك ما أشرنا إليه سابقا ببيان درجة الحديث مما لم يكن فى الصحيحين ، وما تركناه من السنن الأربعة (أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه) من غير بيان لدرجته فهو حسن أو صحيح .

٤ ـ شرح غريب الكلمات ـ سواء أكان ذلك فى الأحاديث أم غيرها.

٥ ـ توضيح ما قد يستشكل على القارئ من كلمات، مع تصحيح الألفاظ من الناحية الإملائية واللغوية ، بعضها أشرنا إليه ، واكتفينا فى البعض الآخر بالتصحيح فقط.

٦ ـ ترجمة الأعلام التى نرى احتياج القارئ إليها.

٧ ـ عمل فهارس موضوعية لكل جزء.

٨ ـ عمل فهارس فنية عامة ملحقة بآخر المصنَّف ، بغية مساعدة الباحث على الاستفادة من هذا المؤلف العظيم .

٩ ـ وإتماما للفائدة ، فقد أثبتنا فى الهوامش الجانبية أرقام صفحات ومجلدات طبعة الشيخ عبد الرحمن بن القاسم المقابلة لما فى طبعتنا هذه ؛تسهيلاً للباحث وخدمة للقارئ وللجمع بين الطبعتين ، بحيث يستغنى مقتنى هذه النسخة عن الطبعة القديمة .

هذا ولا ندعى أننا بلغنا الكمال فى هذا العمل الضخم، ولكن حسبنا أننا بذلنا أقصى جهدنا ، مما قد عزمنا عليه من خدمة هذا الكتاب الجليل القدر ، آملين النصيحة من إخواننا العلماء، سائلين الله أن ينفع به ، وأن يجزينا وقارئه وكل من أعان على إخراجه خير الجزاء ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين .

عامر الجزار أنور الباز

obeikandl.com

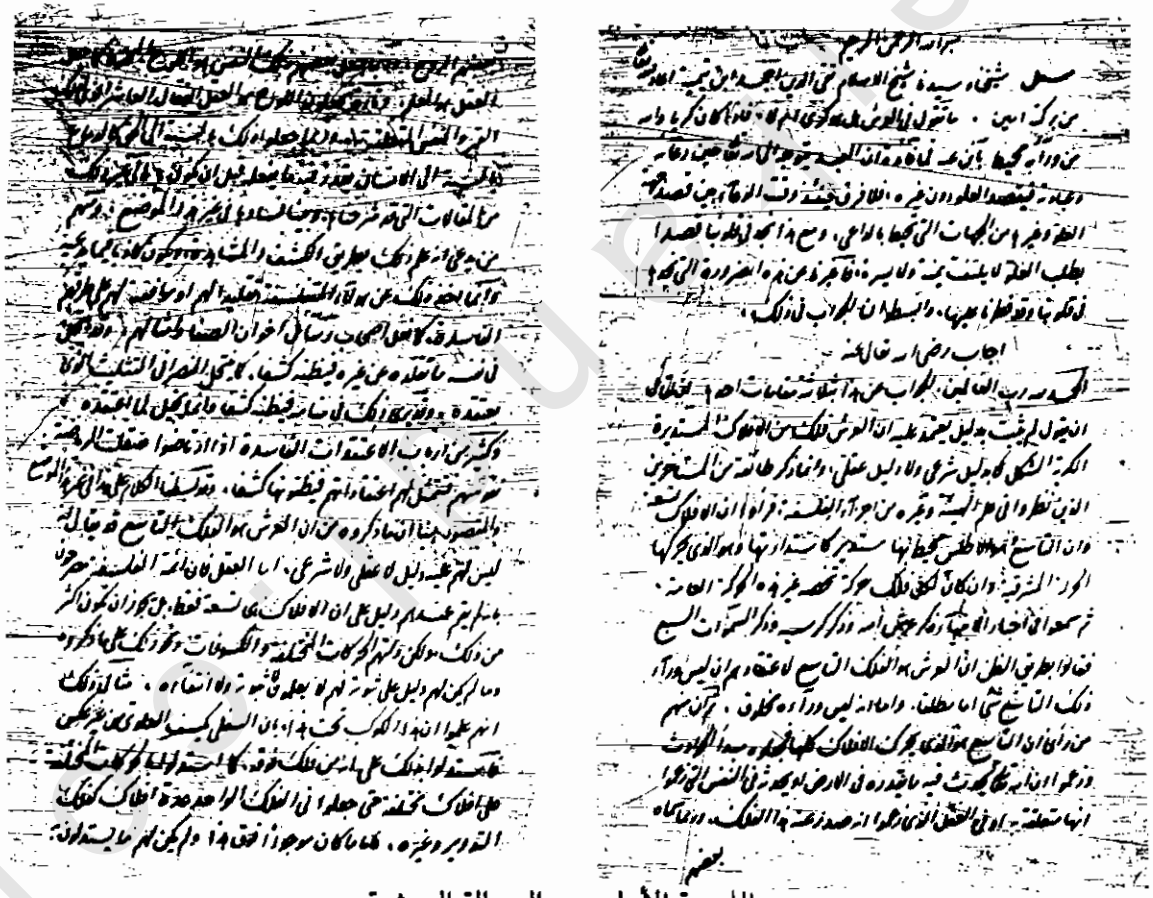

اللوحة الأولى من الرسالة العرشية

لوحة تضمنت مسألتى الحاج عن غيره ، والاقتراض من الوديعة بلا آذن

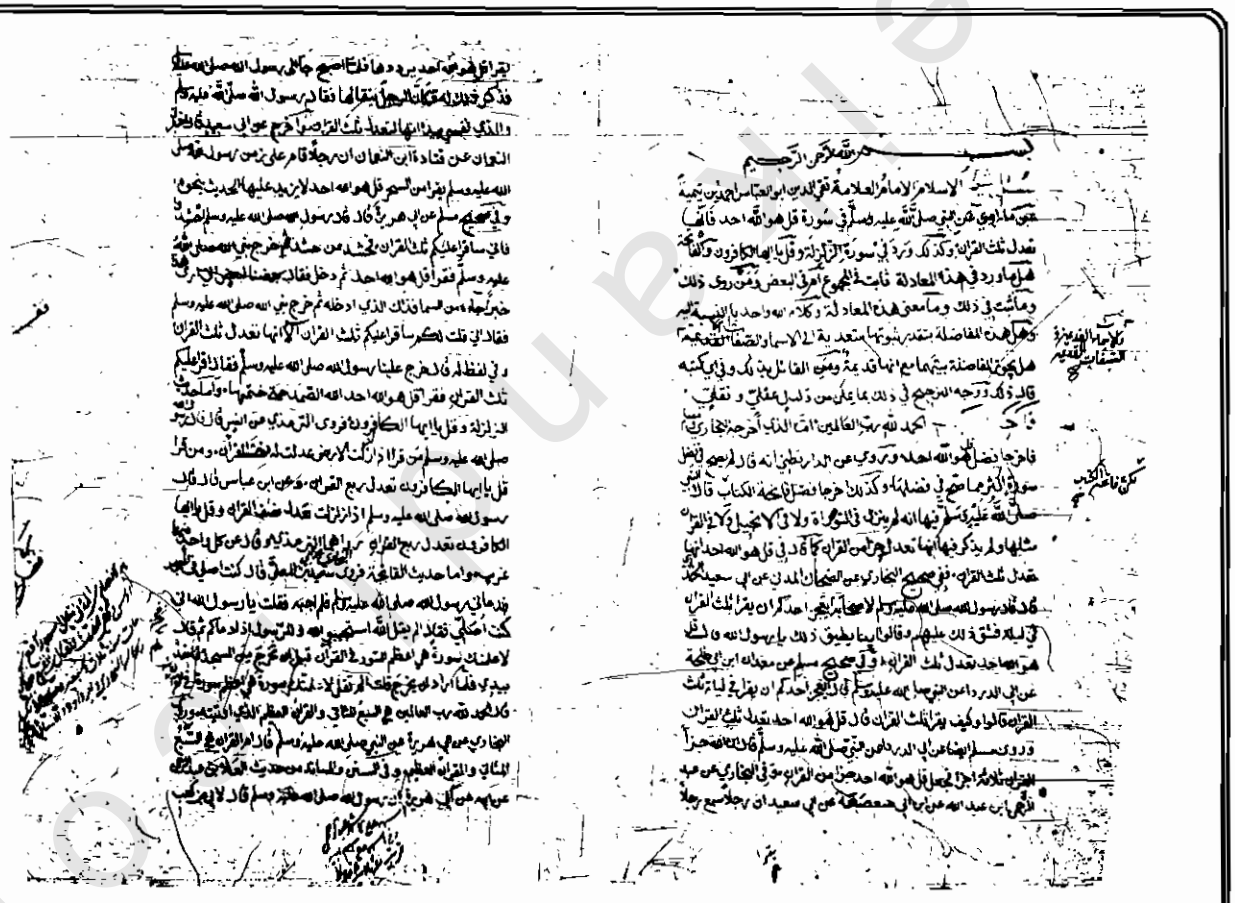

اللوحة الأولى من رسالة فضائل سورة الإخلاص

لوحة ضمن الفتاوى بها مسألة الاستغاثة بالنبى ﷺ

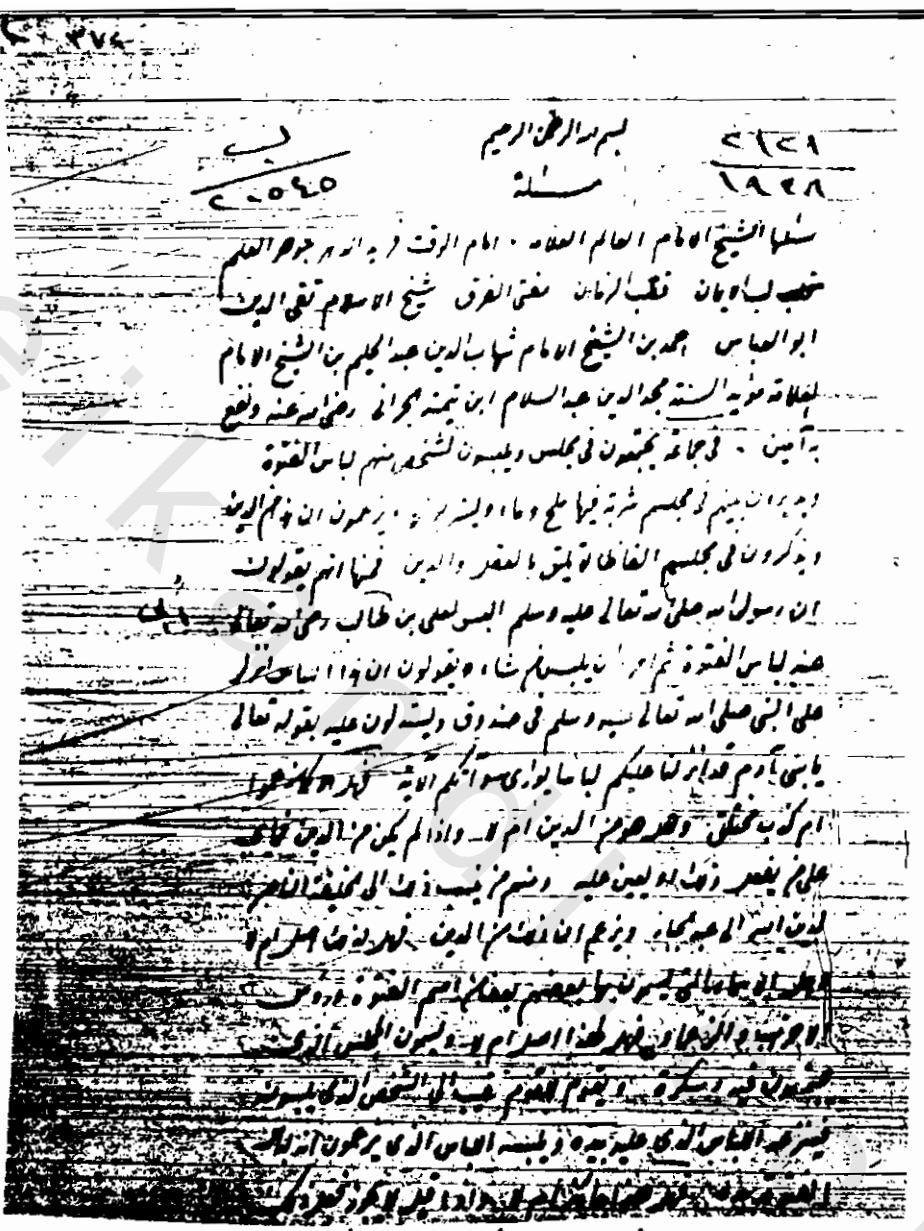

اللوحة الأولى من مسألة فى بعض أعمال الصوفية

obeikandl.com

كتـــاب

توحيد الألوهية

obeikandl.com

obeikandl.com

/ قال شيخ الإسلام أحْمَدُ بن تَيْمية ـ قَدسَ اللَّه روحه : ١/١

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون ،الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون ، الذى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ، سبحانه وتعالى عما يشركون، وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، الذي دل على وحدانيته في إلهيته أجناس الآيات ، وأبان علمه لخليقته ما فيها من إحكام المخلوقات، وأظهر قدرته على بريته ما أبدعه من أصناف المحدثات، وأرشد إلى فعله بسنته تنوّع الأحوال المختلفات ، وأهدى برحمته لعباده نعمه التي لا يحصيها إلا رب السموات ، وأعلم بحكمته البالغة دلائل حمده وثنائه الذي يستحقه من جميع الحالات ، لا يحصي العباد ثناء عليه ،بل هو كما أثنى على نفسه لما له من الأسماء والصفات ، وهو المنعوت بنعوت الكمال وصفات الجلال التي لا يماثله فيها شيء من الموجودات ، وهو القدوس السلام المتنزه أن يماثله شيء في نعوت الكمال ، أو يلحقه شيء من الآفات ، فسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، الذي خلق / السموات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ١/٢ وخلق كل شيء فقدره تقديرا .

أرسل الرسل مُبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا ، مبشرين لمن أطاعهم بغاية المراد من كل ما تحبه النفوس وتراه نعيما، ومنذرين لمن عصاهم باللعن والإبعاد وأن يعذبوا عذابًا أليما ، وأمرهم بدعاء الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره المشركون. كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون : ٥١ ، ٥٢] . وجعل لكل منهم شرعةً ومنهاجًا ، ليستقيموا إليه ولا يبغوا عنه اعوجاجًا .

وختمهم بمحمد ﷺ أفضل الأولين والآخرين ، وصفوة رب العالمين ، الشاهد البشير

النذير الهادي السراج المنير ، الذي أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد ، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذابٍ شديد . بعثه بأفضل المناهج والشِّرع، وأحبط به أصناف الكفر والبدع، وأنزل عليه أفضلَ الكتب والأنباء ، وجعله مهيمنًا على ما بين يديه من كتب السماء.

وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله . هو شهيد عليهم وهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة ، بما أسبغه عليهم من النعم الباطنة والظاهرة ، وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة ، إذ لم يبق بعده نبي يبين ما بدل من الرسالة ، وأكمل لهم دينهم ،
١/٣ وأتم عليهم نعمه ، ورضى لهم الإسلام دينا ، وأظهره على / الدين كله إظهارا بالنصرة والتمكين ، وإظهارًا بالحجة والتبيين ، وجعل فيهم علماءهم ورثة الأنبياء ، يقومون مقامهم في تبليغ ما أنزل من الكتاب ، وطائفة منصورة لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى حين الحساب .

وحفظ لهم الذّكر الذي أنزله من الكتاب المكنون كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون** ﴾ [الحجر:٩]. فلا يقع في كتابهم من التحريف والتبديل كما وقع من أصحاب التوراة والإنجيل.

وخصهم بالرواية والإسناد الذي يميز به بين الصدق والكذب الجهابذة النقاد، وجعل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدوله أهل العلم والدين؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، لتدوم بهم النعمة على الأمة ، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحيي بهم دين اللّه الذي بعث به رسوله ، وبين اللّه بهم للناس سبيله، فأفضل الخلق أتبعهم لهذا النبي الكريم المنعوت في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، رب العالمين ، وإله المرسلين ، وملك يوم الدين .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله إلى الناس أجمعين ، أرسله والناس من الكفر والجهل والضلال في أقبح خيبة وأسوأ حال. فلم يزل ﷺ يجتهد في تبليغ الدين وهدى العالمين وجهاد الكفار والمنافقين، حتى طلعت شمس الإيمان، وأدبر ليل البهتان، وعز جند الرحمن ، وذل حزب الشيطان ، وظهر نور الفرقان ، واشتهرت تلاوة القرآن،
١/٤ وأعلن بدعوة الأذان ، / واستنار بنور اللّه أهل البوادي والبلدان ، وقامت حجة اللّه على

الإنس والجان، لما قام المستجيب من معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، صلاة يرضى بها الملك الديان، وسلم تسليمًا مقرونًا بالرضوان.

أما بعد :

فإنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة فى المعاد إلا باتباع رسوله: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [النساء: ١٣، ١٤] فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التى عليه تدور ، ومستقر النجاة الذى عنه لا تحور.

فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وإنما تعبَّدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب فى دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله . ولهذا قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أخرجاه فى الصحيحين (١) ، وقال ﷺ فى حديث العرباض ابن سارية الذى رواه أهل السنن وصححه الترمذى : « إنه من يَعِشْ منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ ، وإياكم ومُحْدَثَات الأمور، فإن كل بدْعَة ضَلالة» (٢) . وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم وغيره أنه كان يقول فى خطبته : « خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدىُ محمد ، وشَرُّ الأمور محدثاتُها ، وكل بدعة ضلالة » (٣) .

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه فى نحو من أربعين موضعا من القرآن ، كقوله تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠] ، وقوله تعالى : / ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن** ١/٥
رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا . فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ**

---

(١) البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة معلقًا (الفتح ١٣ / ٣١٧) وفى الصلح (٢٦٩٧) بلفظ آخر ، ومسلم فى الأقضية (١٧١٨ / ١٨) ، كلاهما عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) أبو داود فى السنة (٤٦٠٧) ، والترمذى فى العلم (٢٦٧٦) وقال: « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه فى المقدمة (٤٢) ، والدارمى فى المقدمة ١/ ٤٤ ، وأحمد ٤/ ١٢٦ .

(٣) مسلم فى الجمعة (٨٦٧ / ٤٣) ، وابن ماجه فى المقدمة (٤٥) ، وأحمد ٣ / ٣٧١ ، كلهم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

أطيعُوا (١) اللَّهَ والرَّسُولَ فَإن تولَّوْا فَإنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الْكافرين﴾ [آل عمران: ٣٢] ،وقال تعالى : ﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللَّهَ فاتَّبعُوني يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فجعل محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول ، وجعل متابعة الرسول سببًا لمحبة الله عبده ، وقد قال تعالى: ﴿وكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] ، فما أوحاه الله إليه يهدى الله به من يشاء من عباده ، كما أنه ﷺ بذلك هداه الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٥، ١٦] .

فبمحمد ﷺ تبين الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال ، والغى من الرشاد ، والزيغ من السداد ، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار ، وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، من سبيل المغضوب عليهم والضالين .

فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت فى الدنيا ، وذاك إذا فات حصل العذاب.

١/٦ فحق على كل أحد بذل جهده واستطاعته فى معرفة ما جاء به وطاعته؛ إذ / هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة فى دار النعيم. والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذ لا يكفى من ذلك مجرد العقل ، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدَّامه، فكذلك نور العقل لا يهتدى إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة ، فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام ، وكان معرفة ما أمر الله به رسوله واجبًا على جميع الأنام.

والله ـ سبحانه ـ بعث محمدًا بالكتاب والسنة ، وبهما أتم على أمته المنة ، قال تعالى: ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٠ ـ ١٥٢] ، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]، وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾

(١) فى المطبوعة : « وأطيعوا » ، والصواب ما أثبتناه .

[البقرة: ٢٣١] ، وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] .

وقال تعالى عن الخليل : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ، وقد قال غير واحد من العلماء ، منهم يحيى ابن أبى كثير وقتادة والشافعى وغيرهم : ﴿الْحِكْمَةِ﴾ : هى السنة ؛ لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى فى بيوتهن من الكتاب والحكمة ، والكتاب: القرآن ، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة .

وقد جاء عن النبى ﷺ من عدة أوجه من حديث / أبي رافع وأبي ثعلبة وغيرهما أنه ١/٧
قال : « لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيتُ عنه فيقول : بيننا وبينكم القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»(١). وفي رواية: «ألا وإنه مثل الكتاب».

ولما كان القرآن متميزًا بنفسه ـ لما خصه الله به من الإعجاز الذي باين به كلام الناس كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] وكان منقولا بالتواتر ـ لم يطمع أحد في تغيير شيء من ألفاظه وحروفه ، ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل في معانيه بالتغيير والتأويل ، وطمع أن يدخل في الأحاديث من النقص والازدياد ما يضل به بعض العباد.

فأقام الله ـ تعالى ـ الجهابذة النقاد ، أهل الهدى والسداد ، فدحروا حزب الشيطان، وفرقوا بَيِّن الحق من البهتان ، وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن من الزيادة في ذلك والنقصان .

وقام كل من علماء الدين بما أنعم به عليه وعلى المسلمين ـ مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث ـ بدفع ما وقع في ذلك من الخطأ في القديم والحديث، وكان من ذلك الظاهر الجلي ، الذي لا يسوغ عنه العدول ؛ ومنه الخفي ، الذي يسوغ فيه الاجتهاد للعلماء العدول .

---

(١) أبو داود في السنة (٤٦٠٥) ، والترمذي في العلم (٢٦٦٣) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه في المقدمة (١٣).

وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد ، فسافروا في ذلك إلى البلاد ، وهجروا فيه لذيذ الرقاد ، وفارقوا الأموال والأولاد ، وأنفقوا فيه الطارف والتِّلاد [1] ، وصبروا فيه على النوائب ، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، / ولهم في ذلك من الحكايات ١/٨
المشهورة، والقصص المأثورة، ما هو عند أهله معلوم ، ولمن طلب معرفته معروف مرسوم، بتوسد أحدهم التراب وتركهم لذيذ الطعام والشراب، وترك معاشرة الأهل والأصحاب، والتصبر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمر حببه الله إليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله . كما جعل البيت مثابة للناس وأمنًا ، يقصدونه من كل فج عميق، ويتحملون فيه أمورًا مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حبب إلى أهل القتال الجهاد بالنفس والمال حكمة من الله يحفظ بها الدين ليهدى المهتدين ، ويظهر به الهدى ودين الحق، الذي بعث به رسوله ولو كره المشركون .

فمن كان مخلصًا في أعمال الدين يعملها لله ، كان من أولياء الله المتقين، أهل النعيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] .

وقد فسر النبي ﷺ البشرى في الدنيا بنوعين :

أحدهما : ثناء المثنين عليه .

الثاني : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح ؛ أو ترى له .

فقيل : يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن » [2] . وقال البراء بن عازب : سئل النبى ﷺ عن قوله : ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ فقال : «هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له» [3].

---

(١) الطارف : المال المستحدث ، والتِّلاد خلافه . انظر : المصباح المنير ، مادة « طرف » و «تلد».

(٢) مسلم في البر والصلة (٢٦٤٢/١٦٦) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٥)، وأحمد ٥/١٥٦، ١٥٧، عن أبى ذر رضى الله عنه .

(٣) الترمذى فى الرؤيا (٢٢٧٥) وقال: « هذا حديث حسن » ، وابن ماجه فى تعبير الرؤيا (٣٨٩٨) ، والحاكم فى المستدرك فى التفسير ٢ / ٣٤٠ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى. كلهم من حديث عبادة بن الصامت ، ولم أقف على رواية البراء بن عازب رضى الله عنه.

والقائمون بحفظ العلم الموروث عن رسول الله ﷺ الربان ، الحافظون له من الزيادة والنقصان، هم من أعظم أولياء اللّه المتقين وحزبه/ المفلحين، بل لهم مزية على غيرهم من ١/٩
أهل الإيمان والأعمال الصالحات، كما قال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١] قال ابن عباس: يرفع الله [الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات] (١) .

وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ ، وجعله سُلَّمًا إلى الدراية. فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة ، أهل الإسلام والسنة ، يفرقون به بين الصحيح والسقيم ، والمعوج والقويم.

وغيرهم من أهل البدع والكفار ، إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ، ولا الحالي من العاطل.

وأما هذه الأمة المرحومة، وأصحاب هذه الأمة المعصومة ، فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين ، فظهر لهم الصدق من المين (٢) ؛ كما يظهر الصبح لذي عينين . عصمهم الله أن يجمعوا على خطأ في دين الله معقول أو منقول ، وأمرهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء: ٥٩] .

فإذا اجتمع أهل الفقه على القول بحكم لم يكن إلا حقا ، وإذا اجتمع أهل/ الحديث ١/١٠
على تصحيح حديث لم يكن إلا صدقًا، ولكل من الطائفتين من الاستدلال ، على مطلوبهم بالجلي والخفي ما يعرف به من هو بهذا الأمر حَفِيّ (٣) ، واللّه تعالى يلهمهم الصواب في هذه القضية ، كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية ، وكما عرف ذلك بالتجربة الوجودية ؛ فإن الله كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، لما صدقوا في موالاة الله ورسوله ؛ ومعاداة من عدل عنه ، قال تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**

---

(١) بياض بالأصل، والزيادة من الحاكم في التفسير ٢/ ٤٨١ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

(٢) المين : الكذب . انظر : لسان العرب ، مادة « مين » .

(٣) حَفِيّ : عالم . انظر : لسان العرب ، مادة « حفا ».

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة : ٢٢].

وأهل العلم المأثور عن الرسول أعظم الناس قيامًا بهذه الأصول، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه، عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨] . ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح ، من السعي المشكور، والعمل المبرور،ما كان من أسباب حفظ الدين ، وصيانته عن إحداث المفترين ، وهم في ذلك على درجات: منهم المقتصر على مجرد النقل والرواية، ومنهم أهل المعرفة بالحديث والدراية ، ومنهم أهل الفقه فيه، والمعرفة بمعانيه .

١/١١ / وقد أمر النبي ﷺ الأمة أن يبلِّغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبلغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (١) . وقال أيضًا في خطبته في حجة الوداع : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع» (٢) .

وقال أيضًا : «نَضَّر اللّه امرأ سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه ، فربَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يُغَلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل للّه ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» (٣) .

وفى هذا دعاء منه لمن بلغ حديثه وإن لم يكن فقيها، ودعاء لمن بلغه وإن كان المستمع

---

(١) البخارى في الأنبياء (٣٤٦١) ، والترمذى فى العلم (٢٦٦٩) ، والدارمى في المقدمة ١/ ١٣٦، وأحمد ٢/ ١٥٩، ٢٠٢، كلهم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٢) البخارى فى الحج (١٧٤١) ، وابن ماجه فى المقدمة (٢٣٣) ، كلاهما عن أبى بكرة رضى الله عنه.

(٣) الترمذى فى العلم (٢٦٥٨)، وابن ماجه فى المقدمة (٢٣٠) ، والدارمى فى المقدمة ١/ ٧٥، وأحمد ٥/ ١٨٣ .
وقوله : «نضر» من النضارة وهى حسن الوجه ، وإنما أراد : حَسَّن خلقه وقدْرَه. انظر: النهاية ٥/ ٧١.

أفقه من المبلغ ؛ لما أعطى المبلغون من النضرة ؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة [1] : لا تجد أحدًا من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة ؛ لدعوة النبي ﷺ ، يقال : نضُرَ ، ونَضَرَ، والفتح أفصح .

ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث ، حتى قال الشافعى ـ رضى الله عنه : إذا رأيتُ رجلا من أهل الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ. وإنما قال الشافعي هذا ؛ لأنه في مقام الصحابة من تبليغ حديث النبي ﷺ . وقال الشافعى أيضًا : أهل الحديث حفظوا ، فلهم علينا الفضل لأنهم حفظوا لنا. اهـ.

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي، ولد سنة ١٠٧هـ ، قال عنه ابن وهب: ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله من ابن عيينة ، وتوفى سنة ١٩٨هـ . [تهذيب التهذيب ٤/ ١١٧].

obeikandl.com

١/١٢ / وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى :

قاعدة فى الجماعة والفرقة ، وسبب ذلك ونتيجته

قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيه﴾ [الشورى : ١٣] .

أخبر ـ سبحانه ـ أنه شرع لنا ما وصى به نوحا، والذى أوحاه إلى محمد، وما وصى به الثلاثة المذكورين، وهؤلاء هم أولو العزم المأخوذ عليهم الميثاق فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ﴾ ، فجاء فى حق محمد باسم ﴿الَّذِي ﴾ وبلفظ الإيحاء، وفى سائر الرسل بلفظ (الوصية) .

ثم قال : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ . وهذا تفسير الوصية،و﴿أَنْ﴾ : المفسرة التى تأتى بعد فعل من معنى القول لا من لفظه،كما فى قوله : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ﴾ [النحل:١٢٣]، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]. والمعنى : قلنا لهم : اتقوا الله . فكذلك قوله : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ فى معنى : قال لكم من الدين ما وصى به رسلاً، قلنا : أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، فالمشروع لنا هو الموصى به، والموحى، وهو: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ فأقيموا الدين مفسر / للمشروع لنا، الموصى به الرسل، ١/١٣
والموحى إلى محمد ، فقد يقال : الضمير فى ﴿ أَقِيمُوا ﴾ عائد إلينا . ويقال : هو عائد إلى المرسل. ويقال: هو عائد إلى الجميع . وهذا أحسن . ونظيره : أمرتك بما أمرت به زيدًا ، أن أطع الله ، ووصيتكم بما وصيت بنى فلان ، أن افعلوا . فعلى الأول : يكون بدلا من ﴿مَا﴾ أى شرع لكم ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ وعلى الثانى: شرع ﴿ مَا ﴾ خاطبهم . ﴿ أَقِيمُوا﴾ ، فهو بدل أيضًا ، وذكر ما قيل للأولين . وعلى الثالث : شرع الموصى به ﴿ أَقِيمُوا ﴾.

فلما خاطب بهذه الجماعة بعد الإخبار بأنها مقولة لنا، ومقولة لهم، عُلم أن الضمير عائد إلى الطائفتين جميعًا. وهذا أصح إن شاء الله. والمعنى على التقديرين الأولين يرجع إلى هذا، فإن الذى شرع لنا، هو الذى وصى به الرسل . وهو الأمر بإقامة الدين ، والنهى عن التفرق فيه ؛ ولكن التردد فى أن الضمير تناولهم لفظه ، وقد عُلم أنه قيل لنا مثله، أو بالعكس ، أو تناولنا جميعا .

وإذا كان الله قد أمر الأولين والآخرين ، بأن يقيموا الدين، ولا يتفرقوا فيه، وقد أخبر أنه شرع لنا ما وصى به نوحًا ، والذى أوحاه إلى محمد ، فيحتمل شيئين :

أحدهما : أن يكون ما أوحاه إلى محمد يدخل فيه شريعته التى تختص بنا؛ فإن جميع ما بعث به محمد ﷺ قد أوحاه إليه، من الأصول والفروع ، بخلاف نوح وغيره من الرسل، فإنما شرع لنا من الدين ما وصوا به ؛ من إقامة الدين ، وترك التفرق فيه. والدين الذى اتفقوا عليه : هو الأصول . فتضمن الكلام أشياء :

/ أحدها : أنه شرع لنا الدين المشترك ، وهو الإسلام والإيمان العام ، والدين ١/١٤
المختص بنا ؛ وهو الإسلام ، والإيمان الخاص .

الثانى : أنه أمرنا بإقامة هذا الدين كله المشترك ، والمختص، ونهانا عن التفرق فيه.

الثالث : أنه أمر المرسلين بإقامة الدين المشترك ، ونهاهم عن التفرق فيه .

الرابع : أنه لما فصل بقوله : ﴿**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ بين قوله: ﴿**مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا**﴾ وقوله : ﴿**وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ**﴾ أفاد ذلك .

ثم قال بعد ذلك: ﴿**وَمَا تَفَرَّقُوا**(١) **إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: ١٤]؛ فأخبر أن تفرقهم إنما كان بعد مجىء العلم، الذى بين لهم ما يتقون ؛ فإن الله ما كان ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون . وأخبر أنهم ما تفرقوا إلا بغيا ، والبغى مجاوزة الحد، كما قال ابن عمر . . . (٢) الكبر والحسد ؛ وهذا بخلاف التفرق عن اجتهاد ليس فيه علم، ولا قصد به البغى، كتنازع العلماء السائغ، والبغى إما تضييع للحق، وإما تَعَدّ للحد ؛ فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم؛ فعلم أن موجب التفرق هو ذلك.

وهذا كما قال عن أهل الكتاب : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [المائدة: ١٤]، فأخبر أن نسيانهم حظا مما ذُكروا به ـ وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به ـ كان سببًا لإغراء العداوة والبغضاء بينهم ، وهكذا هو الواقع فى أهل ملتنا، مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة فى أصول دينها، وكثير من فروعه، من أهل / الأصول والفروع ؛ ومثلما نجده بين العلماء وبين ١/١٥
العبَّاد؛ ممن يغلب عليه الموسوية ، أو العيسوية ، حتى يبقى فيهم شبه من الأمتين اللتين قالت كل واحدة: ليست الأخرى على شىء، كما نجد المتفقه المتمسك من الدين بالأعمال

---

(١) فى المطبوعة : « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب » ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) بياض بالأصل .

الظاهرة ، والمتصوف المتمسك منه بأعمال باطنة، كل منهما ينفى طريقة الآخر، ويدعى أنه ليس من أهل الدين، أو يعرض عنه إعراض من لا يعده من الدين، فتقع بينهما العداوة والبغضاء.

وذلك : أن الله أمر بطهارة القلب، وأمر بطهارة البدن، وكلا الطهارتين من الدين الذى أمر الله به وأوجبه، قال تعالى : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ [المائدة:٦]، وقال : ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ [التوبة:١٠٨]، وقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢] ، وقال : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة:١٠٣] ، وقال : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ** ﴾ [المائدة:٤١]، وقال : ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ [التوبة:٢٨] ، وقال : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٣] .

فنجد كثيرًا من المتفقهة، والمتعبدة، إنما همته طهارة البدن فقط، ويزيد فيها على المشروع؛ اهتماما ، وعملا . ويترك من طهارة القلب ما أمر به ؛ إيجابًا، أو استحبابًا، ولا يفهم من الطهارة إلا ذلك . ونجد كثيرًا من المتصوفة ، والمتفقرة ، إنما همته طهارة القلب فقط ؛ حتى يزيد فيها على المشروع ؛ اهتماما وعملا . ويترك من طهارة البدن ما أمر به ؛ إيجابا ، أو استحبابًا.

فالأولون يخرجون إلى الوسوسة المذمومة فى كثرة صب الماء، وتنجيس ما ليس بنجس، واجتناب ما لا يشرع اجتنابه، مع اشتمال قلوبهم على أنواع من / الحسد والكِبْر، ١/١٦
والغِلِّ لإخوانهم، وفى ذلك مشابهة بَيِّنَةٌ لليهود .

والآخرون يخرجون إلى الغفلة المذمومة ، فيبالغون فى سلامة الباطن حتى يجعلوا الجهل بما تجب معرفته ، من الشر ـ الذى يجب اتقاؤه ـ من سلامة الباطن، ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهى عنه، وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور بها ، ثم مع هذا الجهل والغفلة قد لا يجتنبون النجاسات ، ويقيمون الطهارة الواجبة مضاهاة للنصارى .

وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به، والبغى الذى هو مجاوزة الحد؛ إما تفريطًا وتضييعًا للحق، وإما عدوانًا وفعلا للظلم. والبغى تارة تكون من بعضهم على بعض ، وتارة يكون فى حقوق الله، وهما متلازمان ولهذا قال: ﴿**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، فإن كل طائفة بَغَتْ على الأخرى، فلم تعرف حقها الذى بأيديها، ولم تَكُفَّ عن العدوان عليها .

وقال : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ٤]، وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الجاثية: ١٦] ، وقال تعالى في موسى بن عمران مثل ذلك، وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ / الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ١/١٧
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٠ ـ ٣٢] ؛ لأن المشركين كل منهم يعبد إلها يَهْواه. كما قال في الآية الأولى : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى : ١٣]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٣] .

فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما أمر به باطنا ، وظاهرا .

وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة رحمة اللّه ، ورضوانه ، وصلواته ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وبياض الوجوه .

ونتيجة الفرقة عذاب اللّه ، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول منهم.

وهذا أحد الأدلة على أن الإجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين ، فلا تكون طاعةٌ لله ورحمته بفعل لم يأمر الله به ، من اعتقاد ، أو قول، أو عمل . فلو كان القول ، أو العمل، الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به ، لم يكن ذلك طاعة للّه ، ولا سببا لرحمته، وقد احتج بذلك أبو بكر عبد العزيز [1] في أول «التنبيه» نبه على هذه النكتة.

---

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد ، المعروف بغلام الخلال ، من أهم مصنفاته : « الشافي» و «المقنع » ، توفى سنة ٣٦٣هـ . [شذرات الذهب ٣/ ٤٥، ٤٦].